اجتهادات
لا مأساة .. ولا مهزلة

لقيت فكرةُ التكرار التاريخى اهتمامًا فى الفكر البشرى منذ أقدم العصور, إذ تناولها كثيرُ من المفكرين. ولكن فردريك هيجل وكارل ماركس الأكثر شهرة فى هذا المجال. وربما يعود ذلك إلى الرواج الذى حظيت به مقالة رؤيوية نشرها ماركس 1852، ثم طُبعت فى كُتيب تُرجم إلى كثير من اللغات تحت عنوان (الثامن عشر من برومير- لويس بونابرت). وفى هذه المقالة-الكُتيب يُحللُ ماركس انقلاب لويس بونابرت (نابليون الثالث) فى 1851 على الجمهورية الفرنسية الثانية، بعد أن انقلب عمه نابليون الأول على الجمهورية الأولى عام 1804، وتنصيب كل منهما نفسه إمبراطورًا.

وفى مقدمة عمله ذاك كتب ماركس أن (هيجل أشار إلى أن الأحداث الكبرى والشخصيات التاريخية قد تتكرر، ولكنه نسى أنها تأخذ فى المرة الأولى شكل المأساة، وتظهر فى المرة الثانية فى صورة مهزلة).

وبعيدًا عن تقييم هذا التصور، ثمة ما يدلُ على إعادة إنتاج أحداثٍ أو شخصيات، ولكن هذا التكرار يحملُ جديدًا فى

ظروفٍ مختلفة، وخاصةً حين يكون الفرقُ الزمنى كبيرًا بخلاف حالة البونابرتين العم وابن الأخ.

ونجدُ شيئًا من ذلك الآن فى الحذر الذى تلتزمه الولايات المتحدة بشأن الدعم العسكرى لأوكرانيا، إذ تضع سقفًا نوعيًا للأسلحة التى تقدمها لها، حتى لا يحدث تغير جوهرى فى ميزان القوى قد يدفع الكرملين إلى (خيار يوم القيامة) أى اللجوء للسلاح النووى.

ويبدو هذا الموقف تكرارًا بشكلٍ مختلف، وفى ظروفٍ مغايرة، للقرار الذى اتُخذ فى الكرملين بخفض الدعم العسكرى لفيتنام الشمالية عقب أزمة كوبا التى وضعت العالم على حافة حرب نووية 1962، قبل أن تُحل سياسيًا، وفقًا لما وثَّقه المؤرخ المخضرم فيتالى نعكومين. فقد قررت موسكو وضع سقفٍ لدعم فيتنام خشية تجدد الأزمة. وحتى عندما زيد الدعمُ لفيتنام، بعد إقصاء خروشوف، لم يكن بلا حدود, ورُفض اقتراح بإرسال متطوعين لدعم قوات الفيتكونج، وهو موقفُ اتخذت واشنطن مثله تجاه أوكرانيا.

وعندما نتأملُ الموقفين نجدُ أن الأول لم يكن مأساةً والثانى ليس مهزلة، بل ربما نراهما من أكثر المواقف رُشدًا فى تاريخ الصراع الأمريكى-السوفيتى ثم الروسى.